

المكتبة الخضراء للأطفال

سر الجحيم البيضاء



قصص عربية

يتم: يعقوب الشارف

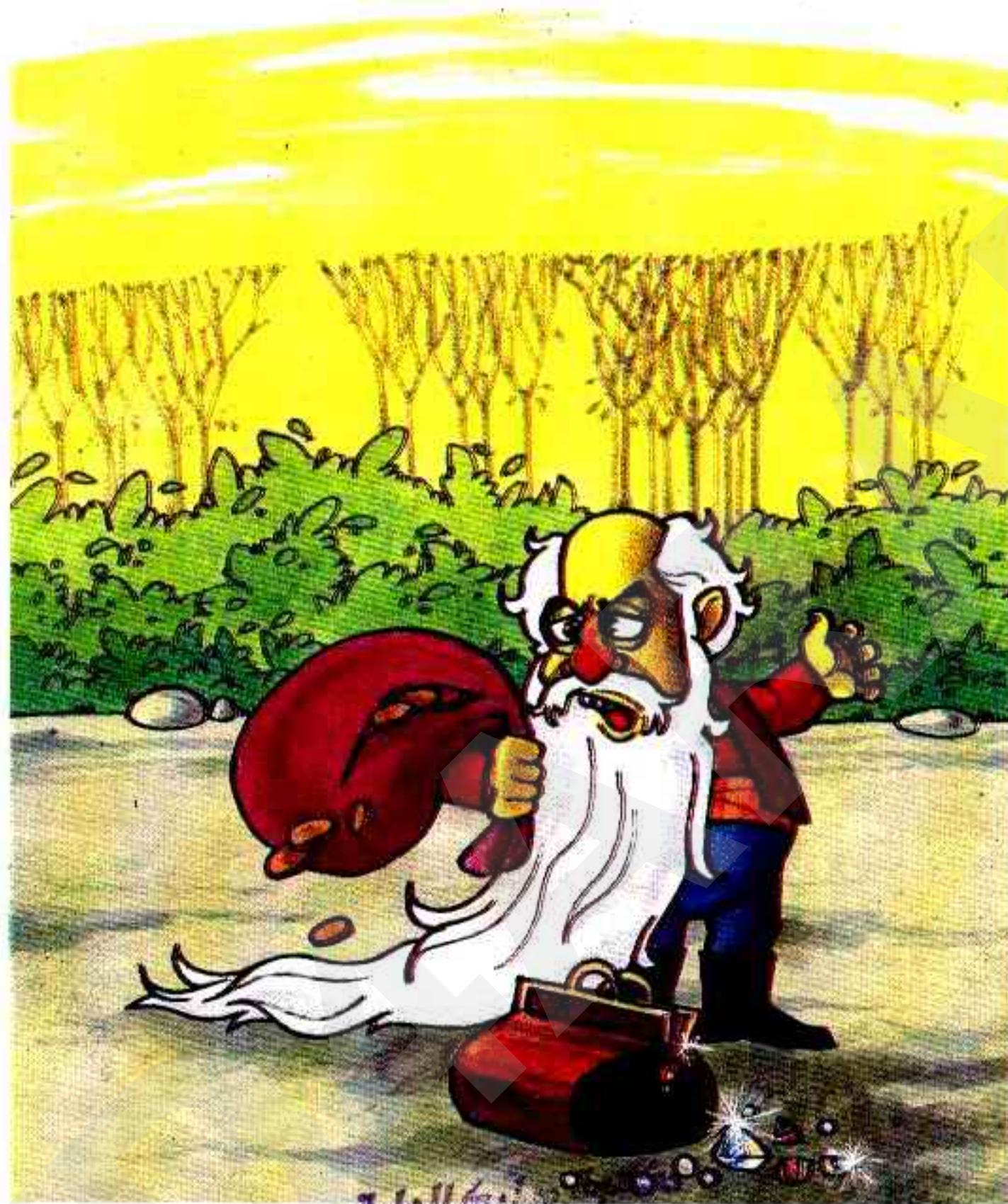


@Arabic_Books

المكتبة الخضراء للأطفال

٣٦

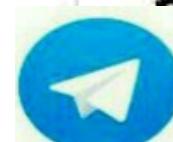
سر الأحية البيضاء



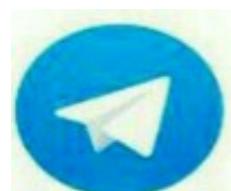
مكتبة المعاذ
Mubarak public Library

الطبعة السادسة

بقلم : يعقوب الشاروني



@Arabic_Books



يُحَكَى أَنَّ سَيِّدَةً عَجُوزًا، كَانَتْ تَعِيشُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ، قُرْبَ غَابَةٍ كَبِيرَةٍ. وَكَانَ لِلصَّاحِبِ ابْنَتَانِ، هُمَا وَرْدَةٌ وَزَهْرَةٌ.

وَلَمْ يَكُنْ بِالقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الأُسْرَةِ جِيرَانٌ كَثِيرُونَ، فَكَانَتِ الْأُسْرَةُ تَقْضِي مُعْظَمَ وَقْتِهَا فِي صُحبَةِ حَرُوفٍ صَغِيرٍ، وَحَمَامَةٍ بَيْضَاءَ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ، كَانَتْ وَرْدَةٌ تَعْدُ الشَّائِي فَوْقَ الْمُؤْقِدِ، وَزَهْرَةٌ تَغْسِلُ أَوَانِي الْمَائِدَةِ، بَيْنَمَا تَقْوَمُ الْأُمُّ بِأَعْدَادٍ فَطِيرَةٍ مِنَ الدُّقِيقِ وَعَسْلِ النَّحْلِ، عِنْدَمَا ظَهَرَ فَجَاهَةً، خَارِجَ نَافِذَةِ الْمَطْبِخِ الْمَفْتُوحَةِ، شَبَّحَ ضَئِيلٌ. وَالْتَّفَتَ الْثَّلَاثَةُ مَعًا يَتَطَلَّعُونَ إِلَيْهِ، لَكِنَّ الشَّبَّحَ أَسْرَعَ يَخْتَفِي بَعِيدًا عَنِ النَّافِذَةِ.

صَاحَتْ وَرْدَةُ : «إِنَّهُ قَزْمٌ ضَيْلٌ مُضْحِكُ الشَّكْلِ، لَهُ لِحْيَةُ بَيْضَاءَ، طَوِيلَةٌ».

وَسَادَ الصَّمْتُ لَحْظَةً، ثُمَّ قَطَعَتْ رَهْرَةُ قائلةً : «لَقَدْ التَّقَتْ عَيْنَايَ بِعَيْنِيهِ، فَلَمْ أَطْمَئِنَ لِنَظَرَاتِهِ!».

وَتَطَلَّعَتِ الْأُمُّ فِي دَهْشَةٍ إِلَى رَهْرَةَ، ثُمَّ قَالَتْ فِي هُدُوءٍ : «لَعْلَهُ جَائِعٌ، جَذَبَتْهُ إِلَيْنَا رُائِحَةُ الطَّعَامِ». وَهُنَا أَسْرَعَتْ وَرْدَةُ تَقُولُ : «هَيَا نَنْادِيهِ، فَلَا يَصْحُ أَنْ نَتَرَكَهُ جَائِعاً».

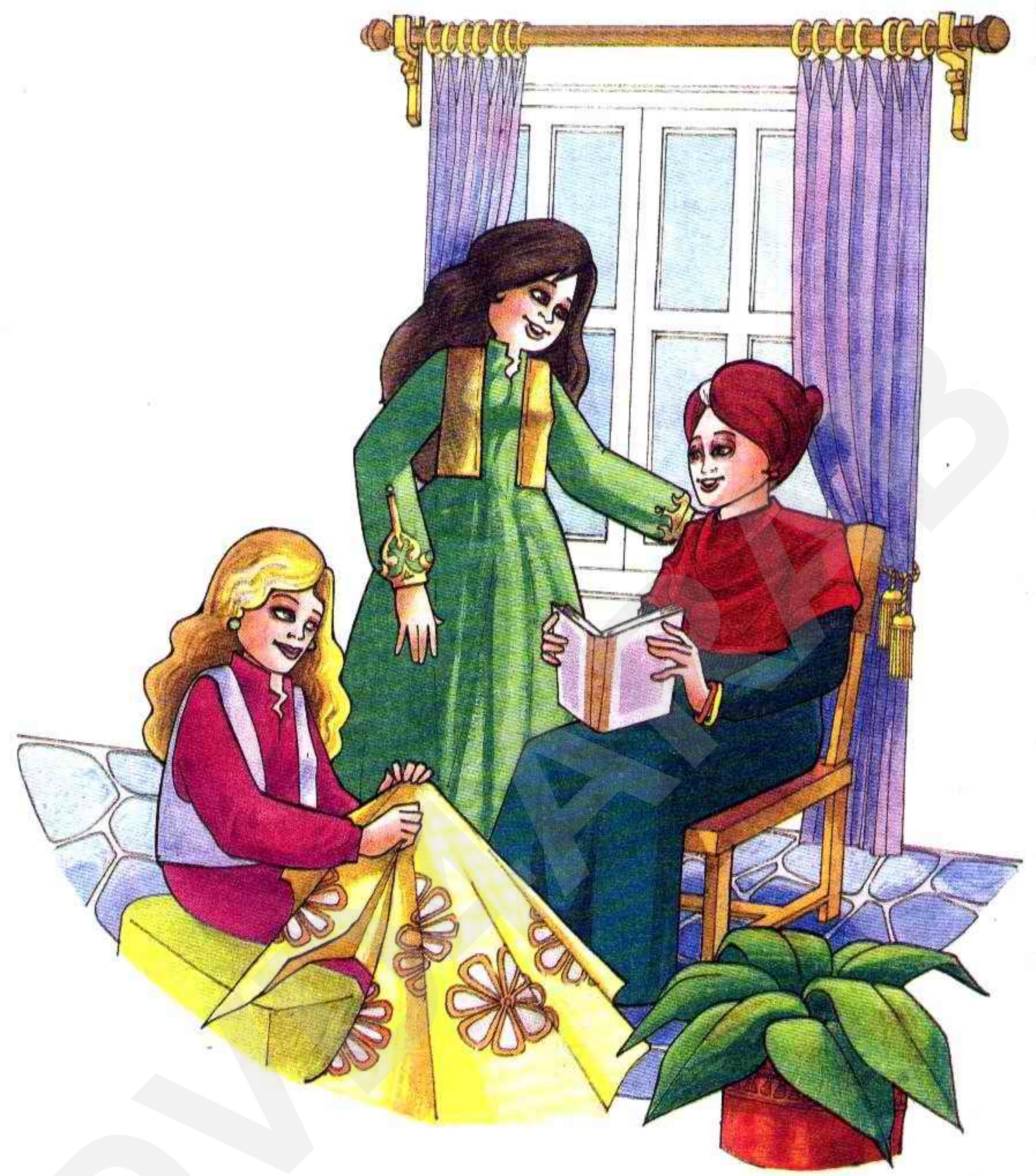
الْتَّفَتَتْ رَهْرَةُ إِلَى أَخْتِهَا، وَقَالَتْ فِي لَهْجَةٍ غَرِيبَةٍ : «أَنْتِ طَيِّبَةُ الْقَلْبِ يَا وَرْدَةً. لَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَجَسَّسُ عَلَيْنَا، وَإِلَّا لِمَا اخْتَفَى بِسُرْعَةٍ عِنْدَمَا التَّفَتَنَا إِلَيْهِ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ فِي الْحِكَايَاتِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْزَامِ يَقُومُونَ بِأَعْمَالٍ شَرِيرَةٍ». ضَحِّكَتِ الْأُمُّ وَقَالَتْ : «الْحِكَايَاتُ فِيهَا خَيَالٌ يُسَلِّيْنَا». أَجَابَتْ رَهْرَةُ : «أَتَمَنِّي أَنْ يَبْتَعِدَ هَذَا الْقَزْمُ عَنْ بَيْتِنَا».

وَلَمْ تَقُلْ وَرْدَةُ وَلَا الْأُمُّ شَيْئًا، لِكِنَّ حَدِيثَ رَهْرَةَ أَثَارَ قَلْقَهُمَا.

* * *

وَفِي مَسَاءِ الْيَوْمِ التَّالِي، جَلَسَتِ الْأُمُّ قُرْبَ نَارِ الْمِدْفَأَةِ مَعَ ابْنَتِهَا، تَقْرَأُ لَهُمَا حِكَايَةً مُمْتَعَةً مِنْ كِتَابٍ كَبِيرٍ، فِي جِينِ أَخَذَتْ رَهْرَةُ فِي تَطْرِيزِ ثُوبِ جَمِيلٍ.

وَفَجْأَةً، تَوَقَّفَتِ الْأُمُّ عَنِ الْقِرَاءَةِ، وَرَفَعَتْ عَيْنَيْهَا عَنِ الْكِتَابِ، فَتَطَلَّعَتْ



زَهْرَةُ وَرْدَةُ إِلَى أُمِّهَا، لِتَعْرِفَا سَبَبَ تَوْقِفِهَا عَنِ الْقِرَاءَةِ.

قَالَتِ الْأُمُّ : «سَمِعْتُ الْيَوْمَ خَبَرًا غَرِيبًا، فِي أَثْنَاءِ وُجُودِكُمَا فِي الْغَابَةِ تَنَزَّهَانِ» .

فَقَالَتْ وَرْدَةُ فِي قَلْقٍ : «مَاذَا سَمِعْتِ يَا أُمِّي؟» .

قَالَتِ الْأُمُّ : «ذَهَبْتُ إِلَى الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ، فَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الْأَمِيرَ الَّذِي يَحْكُمُ هَذِهِ الْبِلَادَ، قَدْ اخْتَفَى فَجَاهَ مُنْذُ عِدَّةِ شُهُورٍ، وَقَدْ بَحَثَ عَنْهُ أَنْحُوَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَلَمْ يَعْثُرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ!» .

وَتَذَكَّرَتْ وَرْدَةُ أَحْلَامَهَا، الَّتِي دَارَتْ كَثِيرًا حَوْلَ ذَلِكَ الْأَمِيرِ. كَانَ مَعْرُوفًا بِإِنَّهُ فَتَّى شَجَاعَ حَكِيمٌ، فَصَاحَتْ : «لَقَدْ سَمِعْنَا كَثِيرًا عَنْ شَجَاعَةِ أَمِيرِنَا وَعَدَالِيَّهِ، مَاذَا حَدَثَ لَهُ يَا تُرَى؟» .

قَالَتِ الْأُمُّ : «لَا أَحَدَ يَدْرِي... وَيَقُولُونَ إِنَّهُ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَفِيَ، كَانَ يَبْحَثُ عَنْ زَوْجَةٍ مُّخْلِصَةٍ ذَكِيرَةٍ حَسَنَةِ الْأَخْلَاقِ، لِكُنَّ هَذَا الْاخْتِفَاءُ الْغَرِيبُ جَعَلَ الْحُزْنَ يُخِيمُ عَلَى قَصْرِهِ الْكَبِيرِ» .

وَسَادَ الصَّمْتُ لَحْظَةً، ثُمَّ قَالَتِ الْأُمُّ : «يَقُولُونَ إِنَّ وُحُوشَ الْغَابَةِ قَتَلَتْهُ» .

صَاحَتْ وَرْدَةُ : «مُسْتَحِيلُ، إِنِّي أَخْرُجُ مَعَ زَهْرَةَ لِلنُّزُهَةِ فِي الْغَابَةِ مُنْذُ طُفُولِتِنَا، وَلَمْ يَحْدُثْ أَنْ أَصَابَنَا مَكْرُوهٌ» .

وَقَالَتْ زَهْرَةُ : «يُمْكِنُ أَنْ أَتَوْقَعَ الشَّرُّ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ، لَكِنِّي لَا أَتَوْقَعُهُ أَبَدًا مِنْ حَيَوانَاتِ الْغَابَةِ. لَقَدْ اعْتَادَتْ كُلُّ الْحَيَوانَاتِ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنَّا، وَأَنْ

تَأْكِلَ مِنْ أَيْدِينَا . لَا . . لَيْسَ فِي الْغَابَةِ أَئْ خَطَرٌ».

وَتَطَلَّعَتِ الْأُمُّ مُفْكَرَةً إِلَى ابْنَتِهَا . كَانَتْ وَرَدَةً تَثْقُ فِي كُلِّ النَّاسِ ، وَتُسَاعِدُ الْأَخَرِينَ بِغَيْرِ تَرْدُدٍ . فِي حِينٍ أَنَّ زَهْرَةً لَا تَتَحَمَّسُ لِاِنْدِفاعِ أَخْتِهَا فِي مُسَاعَدَةِ كُلِّ مَنْ يَطْلُبُ الْمُسَاعَدَةَ ، وَكَانَتْ كُلُّ مِنْهُمَا تَقُولُ لِلْأَخْرَى : «سَشَّيْتُ الْحَوَادِثُ أَنِّي عَلَى حَقٍّ».

وَلَمْ تَكُنْ إِحْدَاهُمَا تَتَصَوَّرْ أَنَّهُ ، فِي خِلَالِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْقَادِمَةِ ، سُوفَ يَحْدُثُ عَدْدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْحَوَادِثِ الغَرِيبَةِ وَالْعَجِيْبَةِ .



فِي إِحْدَى لَيَالِي الشَّتاءِ الْبَارِدَةِ، كَانَ الثَّلَجُ يَسَاقِطُ خَارِجَ الْبَيْتِ فِي رِقَائِقٍ نَاعِمَةٍ، وَأَفْرَادُ الْأَسْرَةِ يَجْلِسُونَ فِي سَعَادَةٍ دَاخِلَّ بَيْتِهِمُ الدَّافِئِ، عِنْدَمَا سَمِعُوا فَجْأَةً طَرَقَاتٍ شَدِيدَةً عَلَى الْبَابِ. قَالَتِ الْأُمُّ: «افْتَحِي الْبَابَ بِسُرْعَةٍ يَا وَرْدَةً، لَعَلَّهُ مُسَافِرٌ غَرِيبٌ ضَلَّ طَرِيقَهُ، يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ يَسْتَرِيحُ فِيهِ».

أَسْرَعَتْ وَرْدَةً، وَفَتَحَتِ الْبَابَ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى الْخَارِجِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مُسَافِرٌ غَرِيبٌ، بَلْ دُبٌّ أَسْوَدُ اللَّوْنِ كَثِيفُ الشَّعْرِ، وَتَرَاجَعَتْ وَرْدَةً مَذْعُورَةً، فَتَقَدَّمَ الدُبُّ، وَأَطْلَلَ بِرَأْسِهِ مِنَ الْبَابِ.

أَرْتَاعَ الْجَمِيعُ لِرُؤْيَةِ الدُبِّ، فَانْدَفَعَتْ وَرْدَةُ فِي فَرَعٍ نَحْوَ أُمِّهَا، وَاخْتَبَأَتْ زَهْرَةُ خَلْفَ مَقْعِدٍ كَبِيرٍ، وَارْتَفَعَ صَوْتُ ثُغَاءِ الْخَرُوفِ، فِي حِينٍ طَارَتِ الْحَمَامَةُ مُضْطَرِبَةً فِي أَرْجَاءِ الغُرْفَةِ.

وَوَقَفَ الدُبُّ فِي مَدْخَلِ الْبَابِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ هَادِئٍ: «لَا تَخَافُو وَدَعْوَنِي أَدْخُلُ. أَنَا دُبٌّ لَا أَكُلُ إِلَّا العَسَلَ. الْجَوْ فِي الْخَارِجِ شَدِيدٌ الْبُرُودَةُ، أُرِيدُ أَنْ احْتَمِيَ مِنَ الْبَرِدِ».

قَالَتِ الْأُمُّ: «ادْخُلْ أَيْهَا الدُبُّ الْلَّطِيفُ، وَارْقُدْ بِجِوارِ نَارِ الْمَوْقِدِ. لَكِنْ خُذْ حَذَرَكَ حَتَّى لَا تَحْتَرِقَ فَرْوَتُكَ الْكَثِيفَةُ». ثُمَّ قَالَتْ لَا بَتَّهَا: «يَا وَرْدَةً.. يَا زَهْرَةً.. لَا دَاعِيَ الْمَخْوَفُ.. هَذَا دُبٌّ لَطِيفٌ، لَنْ يُؤْذِي أَحَدًا».

دَخَلَ الدُبُّ، وَتَمَدَّدَ بِجِوارِ الْمِدْفَأَةِ، وَتَرَكَ حَرَارَةَ النَّارِ تُجَفِّفُ شَعْرَهُ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الرَّاحَةِ وَالْأَطْمِئْنَانِ، وَاقْتَرَبَ الْخَرُوفُ مِنَ الدُبِّ، وَطَارَتِ الْحَمَامَةُ حَوْلَهُ فِي هُدُوءٍ، عِنْدَئِذٍ تَشَجَّعَتْ وَرْدَةٌ فَتَقَدَّمَتْ بِحَذْرٍ نَحْوِ



الدب، فالتفت إليها وقال: «هل تفضلين بتمشيط فرائني؟» فأسرعت وردة، وتناولت فرشاة، وأنخذت في تسوية فراء الدب، عندي
تقدمت زهرة وعاونت أختها، بعد أن زال الخوف والتردد من قلبيهما.
وأحسست وردة أن الدب أصبح صديقاً لها، فصاحت: «هيا نلعب أيها
الدب».





قالَ الدُّبُّ : «أَنَا لَا أَعْرِفُ أَيْ لَعْبَةٍ !»

فَالْتَّفَتَ وَرَدَةٌ إِلَى أُمِّهَا وَقَالَتْ ضَاحِكَةً : «تَصَوِّرِي يَا أُمِّي .. إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَلْعَبُ !» فَابْتَسَمَتِ الْأُمُّ وَقَالَتْ : «إِنَّهُ يَتَظَاهِرُ بِذَلِكَ فَقَطْ».

قالت وردة: «لِنَجْعَلِ الدُّبَّ حَصَانًا!» وصاحت زهرة ضاحكة: «ونركب فوقه».

صاح الدب في مرح: «أرجو ألا يقتلني هذا الشقل». واعتلت الاختان ظهر الدب، وصاحت وردة: «هيا يا دب». فأخذ يسير بهما في أرجاء الغرفة، وقد ارتفعت صيحاتهما المرحة الصافية.

وأخذت الفتاتان تلعبان مع الدب وتمرحان، وإذا زمجر مداعبا، تنطليقان في ضحل مجلجل، وتتدحرجان معه فوق البساط.

وحان موعد النوم، فقالت الأم للدب: «أيها الدب الطيب، يمكنك البقاء هنا طول الليل، لكن لا تتعرض للبرد والمطر في الخارج».

وفي فجر اليوم التالي، استيقظ الدب نشيطا سعيدا، ففتحت له زهرة الباب، ففي حين أخذت وردة تمطر له شعر فروته. وعندما استعد للخروج، قالت له الأم: «أهلا وسهلا بك في أي وقت».

ودع الدب الودود أفراد الأسرة، ثم خرج، وانحنت بين أشجار الغابة، وفي مساء نفس اليوم، عاد إلى بيت أصدقائه.

واعتقد الدب أن يأتي إلى البيت الصغير مساء كل يوم، عند حلول الظلام. ونشأت بين الدب والبيت صداقة قوية، فكان يسمح لهم بمناديته كما يحلو لهم وهو سعيد راض، ولم يكن باب البيت يغلق أبدا في المساء قبل أن يصل الدب الأسود.



وتَتَابَعَتْ زِيَارَاتُ الدُّبِّ الْلَّيلِيَّةِ، إِلَى أَنْ بَدَا فَصْلُ الرَّبِيعِ، وَأَعَادَتْ أُورَاقُ
الأشْجَارِ الْجَدِيدَةِ إِلَى الْغَابَةِ لَوْنَهَا الْأَخْضَرُ، عِنْدَئِذٍ قَالَ الدُّبُّ بِأَسْفٍ :
« يَا أَعْزَائِي . . لَقَدْ حَانَ الْآنَ وَقْتُ رَحِيلِي ، يَجِبُ أَنْ أَتَغَيِّبَ فَتَرَةً ، وَلَنْ أَعُودَ
قَبْلَ بِدَائِيَّةِ فَصْلِ الشَّتَاءِ ».

سَأَلَتْ وَرَدَةُ فِي قَلْقٍ : «إِلَى أَينَ تَرْكُنَا أَيُّهَا الدُّبُّ الْعَزِيزُ؟».

أَجَابَ الدُّبُّ : «يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ فِي الْغَابَةِ، لِأَحْرُسَ كُنُوزِي مِنْ رَجُلٍ شَرِيرٍ، لَقَدْ سَبَقَ لِهَذَا الرَّجُلِ أَنْ اسْتَوْلَى عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ ثُرُوتِي، وَيُرِيدُ سَرِقةَ بَقِيَّتِها. إِنَّ ثَلُوجَ الشَّتَاءِ تَمْنَعُهُ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ كُنُوزِي، أَمَّا فِي الرَّبِيعِ وَالصَّيفِ، فَتَذَوَّبُ الثَّلُوجُ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ لِأَحْرُسَ أَمْوَالِي، وَأَبْعَدَهُ عَنْهَا». وَكَمْ حَزَنَتْ وَرْدَةُ وَزَهْرَةُ لِرَحِيلِ صَدِيقِهِمَا العَزِيزَ.

وَعِدْدَمَا فَتَحَتْ وَرْدَةُ الْبَابِ لِكَيْ يَخْرُجَ صَدِيقُهُنَّ الدَّبُّ، اشْتَبَكَتْ خُصْلَةٌ
مِنْ شَعْرِهِ فِي الْبَابِ، فَظَاهَرَ جَلْدُ الدَّبِّ فِي مَوْضِعِ الشِّعْرِ المَنْزُوعِ لَامِعًا
بِرَأْقًا مِثْلَ الْذَّهَبِ.

ووقفت الفتاتان عند باب البيت تلوحان مودعتان لصديقيهما، ووردة تقول
لزهرة في أسف: «كيف ستفضي مسأة كل يوم، بغير أن يكون صديقنا
الدُّلُّ يتنا؟!»

وَابْتَدَأَ الدُّبُّ، وَسَرَّ عَانَ مَا اخْتَفَى بَيْنَ الْأَشْجَارِ.

三



بعد أيام قليلة، أرسلت الأم ابنتها إلى الغابة، لجمع بعض الأخشاب اللازمة للموقد. وشاهدت الفتان في طريقهما جذع شجرة ضخماً، ملقى على الأرض بين النباتات الطويلة، وبحواره شيء يظهر ويختفي من بين الحشائش.

قالت وردة في ذهشة: «ما هذا الذي يقفز إلى أعلى وإلى أسفل؟».

وتَأْمَلَتْ زَهْرَةُ الْمَنْظَرِ، ثُمَّ قَالَتْ : «لَعَلَّهُ حَيْوَانٌ مَرْبُوطٌ إِلَى جَذْعِ الشَّجَرَةِ، يُحَاوِلُ التَّخْلُصَ مِنْ قَيْدِهِ».

اقْرَبَتِ الْبَنْتَانِ، فَصَاحَتْ زَهْرَةُ : «إِنَّهُ الْقَزْمُ الْعَجُوزُ الَّذِي شَاهَدْنَاهُ مِنْ نَافِذَةِ بَيْتِنَا... إِنَّ لِحَيَّتِهِ طَوِيلَةً جِدًا».

وَشَاهَدَتِ الْبَنْتَانِ الرَّجُلُ بِوضُوحٍ ، كَانَ قَصِيرًا، ضَيِّلَ الْخَجْمِ ، لَهُ وَجْهٌ مُسِنٌ أَصْفَرُ، وَلِحَيَّةٌ بَيْضَاءُ، يَلْغُطُ طُولُهَا مِنْ ذَفْنِهِ حَتَّى قَدَمَيْهِ.

صَاحَتْ وَرْدَةُ : «لَقَدْ انْحَسَرَ طَرَفُ لِحَيَّتِهِ الطُّوِيلَةِ دَاخِلَ شَقٍ فِي جَذْعِ الشَّجَرَةِ».

وَكَانَ الْقَزْمُ يَنْطُطُ فَوقَ الْجَذْعِ مَرَّةً، وَبِجَوارِ الْجَذْعِ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَشُدُّ لِحَيَّتِهِ بِعُنْفٍ لِإِخْرَاجِ طَرَفِهَا مِنَ الشَّقِّ الَّذِي انْحَسَرَتْ فِيهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ.

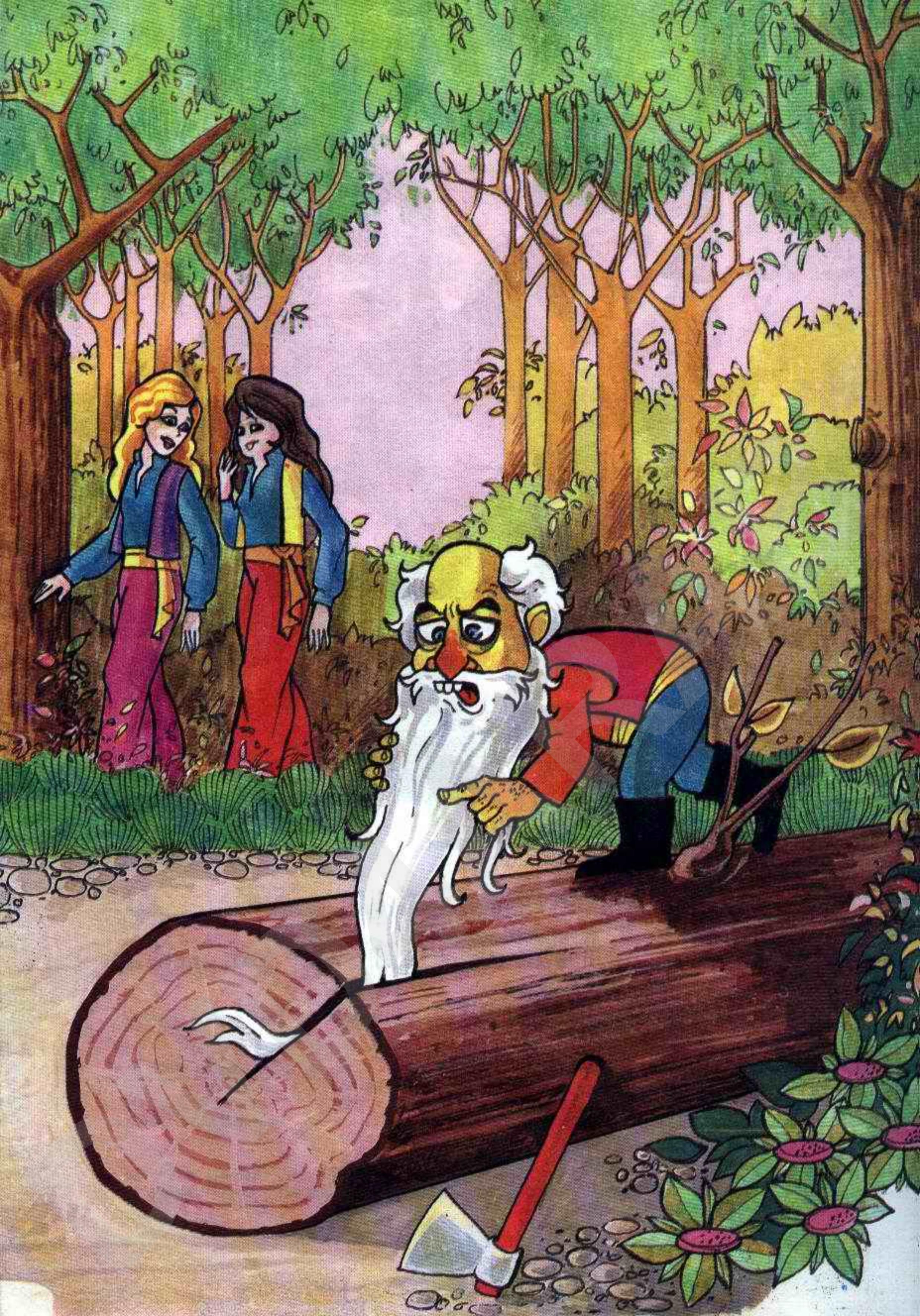
قَالَتْ وَرْدَةُ : «الْمِسْكِينُ لَا يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَ نَفْسِهِ».

صَاحَ الْقَزْمُ فِي خَيْرٍ : «لِمَاذا تَقْفَانِ هَكَذَا كَالْتُمَاثِيلِ تُحْمِلُقَانِ فِي؟! اقْتَرِبَا لِلْمُسَاعِدَتِي».

سَأَلَتْ زَهْرَةُ : «مَاذَا حَدَثَ لَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْقَصِيرُ؟»

صَاحَ الْقَزْمُ فِي غَضَبٍ : «كُنْتُ أَشْقَى هَذَا الْجَذْعَ الضَّخْمَ بِفَائِسِي، فَدَخَلْتُ لِحَيَّتِي فِي الشَّقِّ، وَأَمْسَكَ الْجَذْعَ بِهَا فِي قُوَّةٍ. هَيَا... تَوَقَّفِي عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَلَةِ الَّتِي لَا تُفِيدُ، وَسَاعِدِي بِنِي».

وَتَضَايَقَتْ زَهْرَةُ مِنْ شَرَاسَةِ الرَّجُلِ وَفَظَاظَتِهِ، لِكِنْ وَرْدَةَ تَقدَّمَتْ مِنْهُ،





وَفَحَصَتْ جِذْعَ الشَّجَرَةِ عَنْ قُربٍ . وَأَثَارَ دَهْشَتِهَا ضَخَامَةُ الْجِذْعِ ، فَلَمْ تَكُنْ تَتَصَوَّرُ أَنَّ لَدَى الْقَزْمِ الضَّئِيلِ تِلْكَ الْقُوَّةَ الْهَائِلَةَ الَّتِي مَكَّتَهُ مِنْ شَقَّ الْجِذْعِ . وَبِرَغْمِ دَهْشَتِهَا ، التَّفَتَتْ إِلَى أَنْتِهَا وَقَالَتْ : « هَيَا نُحَاوِلُ جَذْبَهُ مِنْ مَلَابِسِهِ يَا زَهْرَةً . » وَبِرَغْمِ ضِيقِ زَهْرَةِ مِنَ الرَّجُلِ ، فَقَدْ أَمْسَكَتْ مَعَ وَرْدَةَ بِمَعْطَفِ الْقَزْمِ ، وَأَنْهَدَتَا فِي جَذْبِهِ .

وَتَاوَهَ الرَّجُلُ الْقَصِيرُ ، وَأَنْهَدَ يَصِيعُ : « آه يَا لِحَيَّتِي . . إِنَّهَا لَنْ تُخْرِجَ . .

لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الشَّقَّ». عِنْدَئِذٍ قَالَتْ وَرْدَةُ : «سَأَعُودُ جَرِيًّا إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَأَسْتَدِعُنِي مَنْ يُسَايِدُكَ». لَكِنَّ الْقَزْمَ صَاحَ سَاخِطًا : «أَيْتُهَا الْغَيْبَةُ . أَلَا يَخْطُرُ عَلَى بِالِّكِ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِي وَالْعَوْدَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ؟!» قَالَتْ زَهْرَةُ : «إِنَّ مَعِي أَدَوَاتُ التَّطْرِيزِ». صَاحَ الْقَزْمُ : «مَاذَا سَتَصْنَعِينَ فِي لِحْيَتِي بِأَدَوَاتِ التَّطْرِيزِ؟» قَالَتْ زَهْرَةُ : «كُنْ صَبُورًا».

وَمِنْ بَيْنِ أَدَوَاتِهَا، أَخْرَجَتْ زَهْرَةُ مِقْصًا، وَأَسْرَعَتْ وَقَصَتْ بِهِ لِحْيَةَ الْقَزْمِ، فَخَلَّصَتْهَا مِنَ الشَّقِّ الَّذِي دَخَلَتْ فِيهِ. وَصَاحَتْ وَرْدَةُ فِي حَمَاسٍ : «هَا قَدْ أَصْبَحْتَ حُرًّا».

لَكِنَّ الْقَزْمَ صَاحَ بِهَا فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ لِحْيَتَهُ الَّتِي أَصْبَحَتْ تُصِلُّ إِلَى مُنْتَصِفِ سَاقِيَهُ : «آه يا لِحْيَتِي .. يا لِحْيَتِي الْجَمِيلَة .. يا لِحْظَى السَّيِّءِ الَّذِي أَوْقَعَنِي بَيْنَ أَيْدِيكُمَا .. كَيْفَ أَقْدَمْتُمَا عَلَى قَصٍّ جُزْءٍ مِنْ لِحْيَتِي الَّتِي أَعْتَزُّ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا؟!.. لَقَدْ كَانَ طُولُهَا مِثْلَ طُولِي، وَقَدْ ضَاعَ الآنَ رُبْعُهَا!».

انتَابَتِ الْفَتَاتَانِ دَهْشَةٌ بِالْغَةِ، وَانْقَلَبَتْ سَعَادَتُهُمَا بِانْقَادِ الرَّجُلِ، إِلَى شُعُورٍ بِالْأَسَفِ، بِسَبَبِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي قَابَلَ بِهَا مَجْهُودَاتِهِمَا لِإِنْقَادِهِ. وَهَمَسَتْ زَهْرَةُ لِوَرْدَةَ : «هَذِهِ هِيَ نَتْيَاجَةُ صُنْعِ الْخَيْرِ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِقُهُ!» ثُمَّ وَقَفَتْ مَعَ أَخْتِهَا تَرْقُبًا لِلرَّجُلِ فِي صَمْتٍ وَضِيقٍ، فَإِذَا بِهِ يَبْحَثُ بَيْنَ جُذُوعِ الْأَشْجَارِ، إِلَى أَنْ عَثَرَ عَلَى كِيسٍ كَبِيرٍ مِنَ الْجَلْدِ، كَانَ قَدْ أَخْفَاهُ هُنَالِكَ، وَمِنْ فُتْحَةِ الْكِيسِ، ظَهَرَتْ مِئَاتُ مِنْ قَطْعَاتِ الْذَّهَبِ

الصُّفَرَاءُ الْلَّامِعَةُ، وَأَسْرَعَ الرَّجُلُ يُخْفِي الْذَّهَبَ، وَيُغْلِقُ الْكِيسَ.

ثُمَّ تَاهَبَ الرَّجُلُ لِيَحْمِلَ الْكِيسَ فَوْقَ ظَهِيرَهُ، وَكَانَ وَاضْحَاً أَنَّهُ اعْتَادَ الْقِيَامَ بِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ فِي سُهُولَةٍ وَيُسِّرٍ، لَكِنَّهُ عِنْدَمَا حَاوَلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ حَمْلَ الْكِيسِ كَمَا اعْتَادَ، أَفْلَتَ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ. وَنَظَرَ الْقَزْمُ إِلَى الْكِيسِ فِي دَهْشَةٍ وَغَضَبٍ، ثُمَّ عَادَ فَانْحَنَى عَلَى الْأَرْضِ وَأَمْسَكَ بِالْكِيسِ، وَبَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا حَتَّى وَضَعَهُ فَوْقَ ظَهِيرَهُ، فَانْحَنَى تَحْتَ ثِقْلِهِ اِنْجِنَاءً شَدِيدًا.

وَأَدَارَ الْقَزْمُ ظَهِيرَهُ لِلْفَتَاتَيْنِ، وَابْتَعَدَ فِي بُطُوءٍ بِسَبِّبِ ثِقْلِ حَمْلِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْطِقَ بِكَلِمَةٍ.

قَالَتْ زَهْرَةُ فِي غَضَبٍ : «لَقَدِ انْصَرَفَ دُونَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةً شُكْرٌ وَاحِدَةً».

أَجَابَتْ وَرْدَةُ فِي هُدُوءٍ : «لَقَدْ فَعَلْنَا مَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِهِ، وَنَحْنُ لَا نَتَتَظَرُ شُكْرًا عَلَى مُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ».

وَيَبُدُّ أَنَّ الْقَزْمَ سَمِعَهُمَا، فَتَوَقَّفَ، وَالْتَّفَتْ إِلَيْهِمَا، وَعَادَ يَصِيقُ : «اِذْهَبَا فَوْرًا مِنْ هُنَا. مِنْهُ قَلِيلٌ أَثْرَتُمَا غَضَبِي بِقَطْعِ لِحَيَّتِي الَّتِي أُخْرِصُ عَلَى أَنْ تَظَلَّ طَوِيلَةً جَمِيلَةً، وَالآنَ تُثِيرَانِ غَيْظِي بِإِنْتِقادِ سُلُوكِي !».

وَبِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْبَعِيدَةِ تَمَامًا عَنْ أَيِّ شُكْرٍ، ابْتَعَدَ وَهُوَ يُمْسِكُ الْكِيسَ جَيْدًا فَوْقَ ظَهِيرَهِ الْمُنْحَنِيِّ، وَرَدَدَ فِي غَضَبٍ : «آه يا لِحَيَّتِي الْجَمِيلَةِ .. آه يا لِحَيَّتِي الْبَيْضَاءِ الطَّوِيلَةِ».



وَعِنْدَمَا رَجَعَتْ وَرْدَةُ وَزَهْرَةُ إِلَى الْبَيْتِ، أَخْبَرَتَا أُمَّهُمَا بِمَا حَدَثَ، فَتَطَلَّعَتْ إِلَيْهِمَا الْأُمُّ مُبْتَسِمَةً، وَقَالَتْ: «أَشْكُرُ اللَّهَ أَنْ أَعْطَانِي بِنَتَيْنِ

لَا تَرْدَدْنَ فِي صُنْعِ الْخَيْرِ وَمُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ، وَلَا يَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُسَاعِدَتَكُمَا لَهُ بِالشُّكْرِ وَعِرْفَانِ الْجَمِيلِ أَوْ بِالْجُحُودِ وَنُكْرَانِ الْجَمِيلِ.



وَيَعْدُ أَيَّامٍ، أَرْسَلَتِ الْأُمُّ وَرْدَةً وَزَهْرَةً لِاِصْطِبَادِ بَعْضِ السَّمَكِ مِنْ نَهْرٍ صَغِيرٍ بِالْغَابَةِ.

وَفِي أَثْنَاءِ اِقْتِرَابِ الْأَخْتَانِ مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ، شَاهَدَتَا شَيْئًا كَانَهُ جَرَادَةً ضَخْمَةً تَوَاثِبُ عَلَى الشَّاطِئِ، وَتَهُمُ بِالْقُفْزِ إِلَى الْمَاءِ.

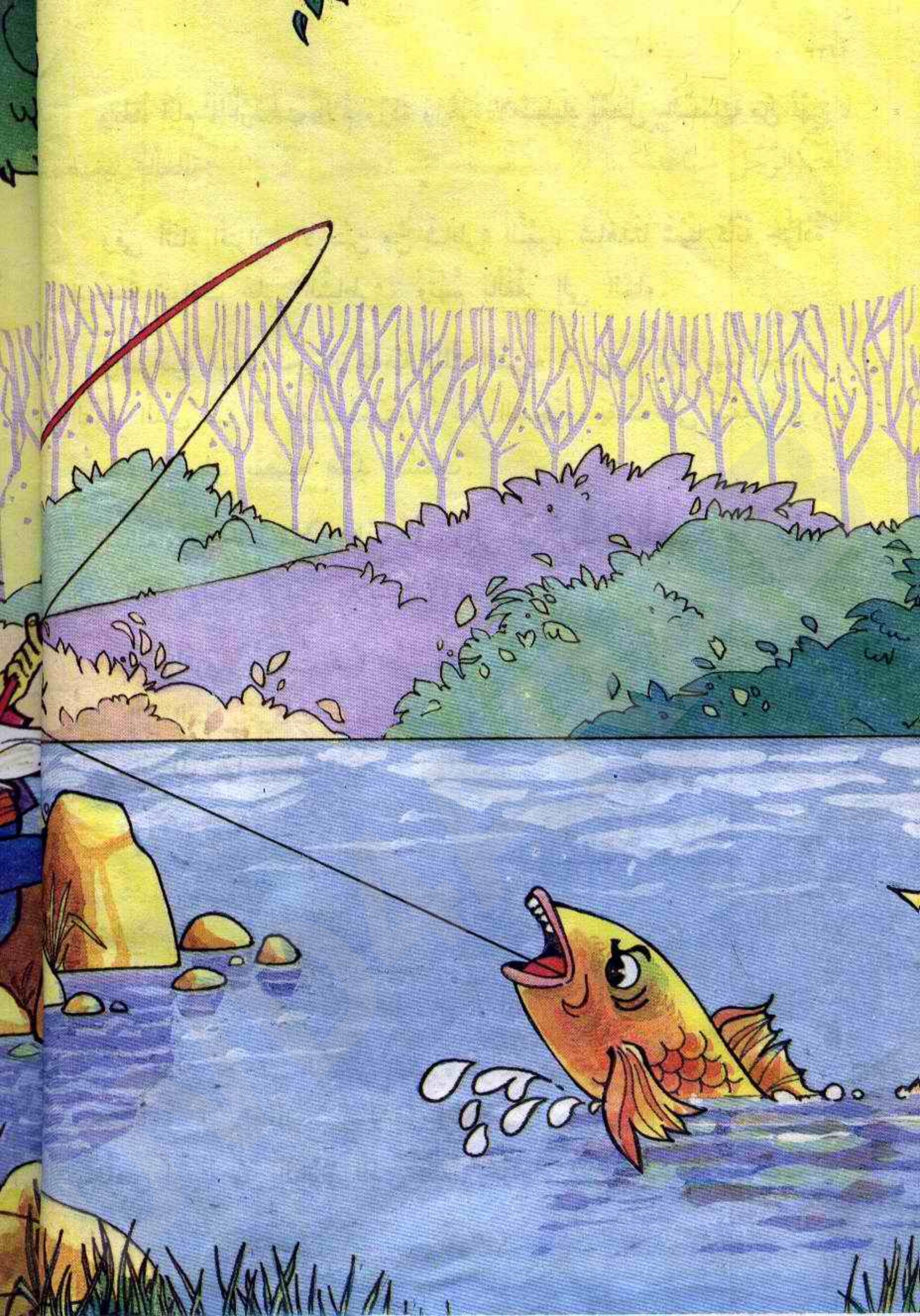
وَأَسْرَعَتِ الْبَيْتَانِ تَجْرِيَانِ نَاحِيَةً ذَلِكَ الشَّيْءِ الغَرِيبِ، فَإِذَا يَهْمَا تَجَدَانِ الْقَزْمِ الَّذِي سَبَقَ أَنْ أَنْقَذَتَا لِحَيَّتَهُ مِنْ شَقِّ الشَّجَرَةِ، يَقْفُزُ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ، يَضْطَادُ السَّمَكَ بِقَصْبَةٍ صَيْدِ السَّمَكِ.

سَأَلَتْهُ وَرْدَةُ، وَقَدْ مَلَأْتِهَا الدَّهْشَةُ : «إِلَى أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ تَذَهَّبَ؟ هَلْ سَتَقْفِزُ إِلَى الْمَاءِ وَأَنْتَ تَرْتَدِي مَلَابِسَكَ؟!».

صَاحَ الْقَزْمُ : «لَسْتُ غَيْبًا حَتَّى الْقِيَ يَنْفَسِي إِلَى الْمَاءِ بِمَلَابِسِي». ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْمَاءِ بِحَرْكَاتٍ غَرِيبَةٍ وَقَالَ : «أَلَا تُشَاهِدَانِ هَذِهِ السَّمَكَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي أَمْسَكَ بِهَا خَيْطَ الصَّيْدِ؟ إِنَّهَا تُحَاوِلُ سَحْبِي إِلَى النَّهْرِ!».

وَأَنْدَرَ الرَّجُلُ يَجْذِبُ الْخَيْطَ إِلَى الشَّاطِئِ. وَعَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُ، التَّفَ الْخَيْطُ حَوْلَ شَعْرِ لِحَيَّتِهِ الطَّوِيلِ. وَفِجْأَةً، اِنْتَفَضَتِ السَّمَكَةُ، وَكَانَتْ ضَخْمَةً قَوِيَّةً، وَأَخْذَتْ تَجْذِبَهُ إِلَى الْمَاءِ مِنْ لِحَيَّتِهِ الَّتِي اِشْتَبَكَتْ مَعَ خَيْطَ الصَّيْدِ؛ فَعَادَ الْقَزْمُ يَصْرُخُ وَيَوْلُوْلُ : «آه.. إِنِّي أَنْزَلَقُ.. سَأَغْرَقُ».

وَشَاهَدَتِ الْأَخْتَانِ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ تَوَاثِبُ فِي الْمَاءِ عِنْدَ طَرَفِ الْخَيْطِ، وَالْمَخْلُوقُ الصَّغِيرُ الْحَجْمِ لَا يَسْتَطِيعُ جَذْبَهَا مِنَ الْمَاءِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّصَ لِحَيَّتِهِ مِنَ الْخَيْطِ الَّذِي التَّفَ حَوْلَهَا، لِيَتَرُكَ السَّمَكَةَ تَهْرُبُ، أَوْ





تَغْوِصُ حَرَّةً فِي الْمَاءِ . وَكُلَّمَا ابْتَعَدَتِ السُّمْكَةُ عَنِ الشَّاطِئِ ، سَحَبَتِ الْقَزْمَ مَعَهَا ، فَيَزْدَادُ اقْتِرَابًا مِنَ الْمَاءِ .

أَسْرَعَتْ وَرْدَةً فَامْسَكَتْ بِذِرْاعِ الرَّجُلِ ، وَأَخْذَتْ تَشْدُهُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ لِإِبْعَادِهِ عَنْ حَافَّةِ الْمَاءِ ، فِي حِينٍ أَسْتَخْدَمَتْ زَهَرَةً أَصَابِعَهَا بِمَهَارَةٍ تُحَاوِلُ فَكَ الْخَيْطِ الصَّدِيدِ مِنْ لِحْيَتِهِ ، بِرَغْمِ ضَيْقِهَا الشَّدِيدِ مِنْ سُلُوكِ الْقَزْمِ غَيْرِ المُهَدِّبِ . لَكِنَّ اللَّحْيَةَ وَالْخَيْطَ كَانَا مُتَشَابِكَيْنِ تَمَامًا .

وَتَوَقَّفَتْ زَهَرَةُ عَنْ مُحاوَلَتِهَا لِتَخْلِيصِ شَعْرِ اللَّحْيَةِ مِنْ الْخَيْطِ ، وَصَاحَتْ بِأَخْتِهَا : «أَمْسِكِي ذِرَاعَهُ جَيْدًا يَا وَرْدَةً .. سَاعِدِيهِ لِيَقْنِي بَعِيدًا عَنْ حَافَّةِ الْمَاءِ» .





وَصَاحَتْ وَرْدَةُ، وَهِيَ تَبْذُلُ كُلَّ جُهْدِهَا فِي جَذْبِ الرَّجُلِ بَعِيدًا عَنِ
الْعَاءِ: «مَاذَا سَتَفْعَلِينَ يَا زَهْرَةً؟».

وَلَمْ تُحِبْ زَهْرَةُ، بَلْ أَسْرَعَتْ تُخْرِجُ مِقَصًا، وَقَصَتْ جُزْءَ اللَّهِيَّةِ الَّذِي
اشْتَبَكَ مَعَ خَيْطِ الصَّيْدِ، وَعِنْدَمَا تَخَلَّصَ الْفَرَمُ مِنْ خَيْطِ الصَّيْدِ، وَقَعَ هُوَ
وَوَرْدَةُ عَلَى حَشَائِشِ الشَّاطِئِ، فِي حِينِ غَاصَتِ السَّمَكَةُ مَعَ الْخَيْطِ فِي
أَعْمَاقِ النَّهْرِ.

وَقَامَ الْقَزْمُ مِنْ سَقْطِهِ، فَصَاحَتْ وَرْدَةُ فِي سَعَادَةٍ وَهِيَ تُصَفِّقُ فِي مَرْحٍ :
«لَقَدْ أَنْقَذْنَاهُ.. لَقَدْ أَنْقَذْنَاهُ».

أَسْرَعَ الْقَزْمُ يَتَحَسَّسُ لِحَيْتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ صَوَّبَ بَصَرَهُ إِلَى الْمِقْصُ الَّذِي كَانَ
لَا يَزَالُ فِي يَدِ زَهْرَةٍ. وَمَعَ أَنَّهُ عَرَفَ جَيِّدًا أَنَّ مَا فَعَلَتْهُ بِلِحَيْتَهِ كَانَ لِإِنْقَاذِ
حَيَاتِهِ، فَقَدِ انتَابَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ، وَصَاحَ فِي زَهْرَةٍ : «هَلْ يَدْخُلُ ضِمنَ
الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، أَنْ تُشَوِّهِي وَجْهَ إِنْسَانٍ عَلَى هَذَا النُّحُورِ؟ لَقَدْ قَصَصْتِ
لِحَيْتَى العَزِيزَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ. كَانَ طُولُهَا مِثْلَ طُولِي، وَقَدْ ضَاعَ مِنْهَا إِلَآنَ
نِصْفُهَا.. إِنَّ لِحَيْتَى هِيَ . . .» وَعِنْدَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ، سَكَتَ الْقَزْمُ فَجَاءَهُ عَنْ
الْكَلَامِ، كَانَهُ كَانَ سَيِّوحٌ بِسِرٍّ خَطِيرٍ، وَعَادَ يَصِيحُ فِي حُزْنٍ وَغَضَبٍ :
«كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَظْهَرَ أَمَامَ أَهْلِي وَأَصْدِقَائِي بِهَذَا الشَّكْلِ الْمُضْحِكِ؟!».

وَتَبَادَلَتِ الْأَخْتَانِ نَظَرَاتِ الدَّهْشَةِ لِهَذَا التَّصَرُّفِ الغَرِيبِ مِنَ الْقَزْمِ

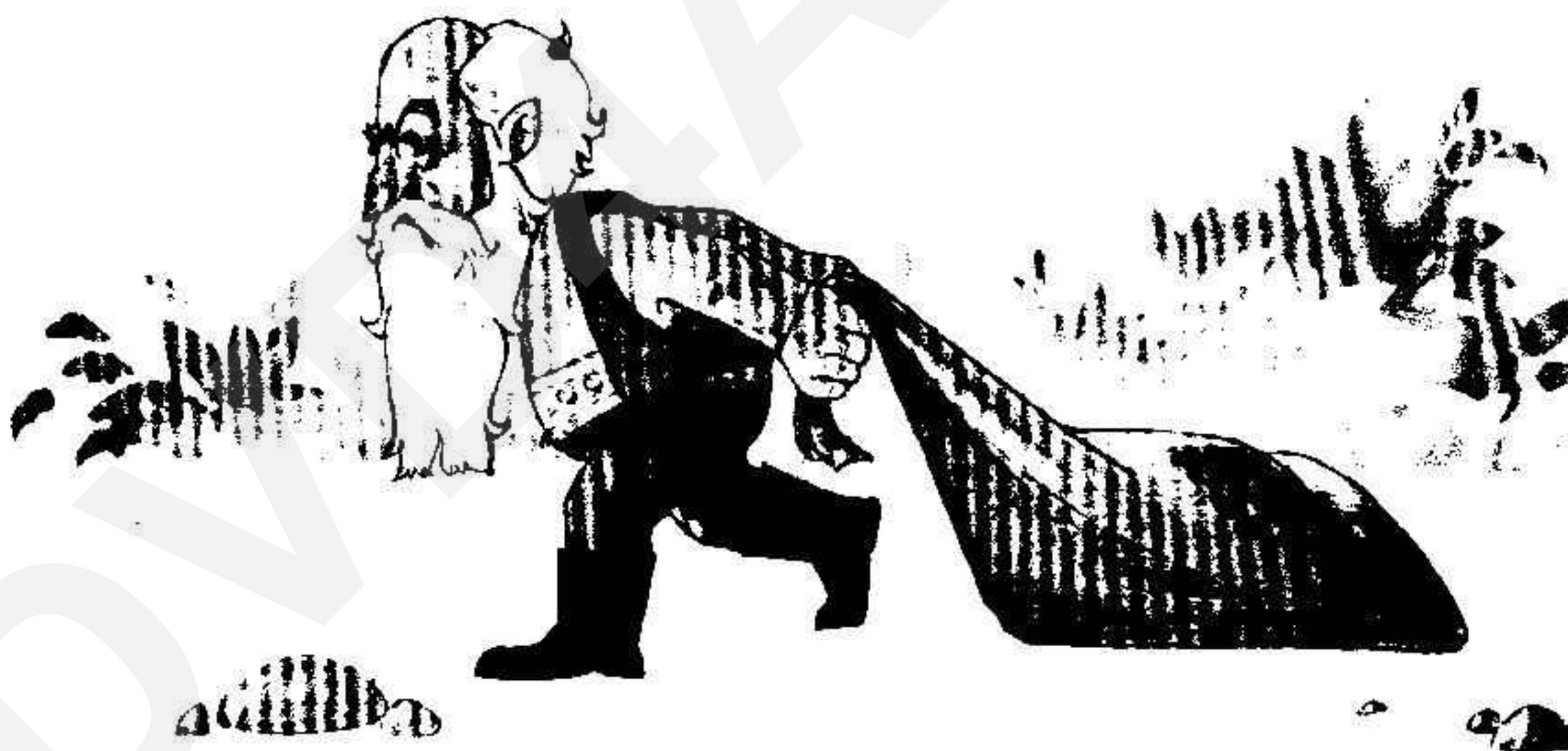


الشِّرِّسِ، لا تُصدِّقانِ إِنَّهُما تَسْمَعانِ تِلْكَ الْعِبَاراتِ الْخَيْسَةَ الْقَاسِيَةَ مِنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَنْقَذَتَا حَيَاتَهُ مِنَ الْغَرَقِ، فِي حِينِ أَسْرَعَ الْقَزْمُ يُزِيْحُ النَّبَاتَاتِ الَّتِي عَلَى الشَّاطِئِ، وَيُخْرِجُ مِنْ بَيْنِهَا كِيسًا كَبِيرًا.

لَكِنَّ الْكِيسَ انْفَتَحَ فَجَأَةً، وَتَدَفَّقَتْ مِنْهُ حَبَّاتٌ مِنَ الْلُّؤْلُؤِ الشَّمِينِ الْعَالِيِّ. وَانْدَفَعَ الرَّجُلُ الْقَصِيرُ يَجْمِعُ الْلُّؤْلُؤَ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ فِي سُرْعَةٍ، وَيُعِيدُهُ إِلَى الْكِيسِ، مُحَاوِلاً أَنْ يُخْفِيَهُ عَنْ عُيُونِ الْبَشَّارِينَ.

ثُمَّ أَخَذَ يُحاوِلُ رَفْعَ الْكِيسِ لِيَضْعَهُ فَوقَ ظَهْرِهِ. وَلَا حَظَتْ وَرَدَةٌ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهُ بِالسُّهُولَةِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ حَمَلَ بِهَا كِيسَ الْذَّهَبِ، كَانَمَا ضَعُفتْ قُوَّتُهُ هَذِهِ الْمَرَّةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ أَخَذَ يَجْذِبُهُ عَلَى الْأَرْضِ خَلْفَهُ، إِلَى أَنْ اخْتَفَى وَرَاءَ صَخْرَةٍ عَالِيَّةٍ.

وَعِنْدَ عَوْدَةِ الْأَخْتَيْنِ إِلَى الْمَنْزِلِ، عَرَفَتْ أُمُّهُمَا مَا حَدَّثَ، وَاحْسَتْ إِنَّهُمَا تَالَّمَانِ بِسَبَبِ جُحُودِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْقَصِيرِ، فَطَوَّقَتْهُمَا بِذِرَاعَيْهَا، وَقَبَّلَتْهُمَا



في حُبٍ وَحَنَانٍ وَهِيَ تَقُولُ : «لَقَدْ أَنْقَذْتُمَا حَيَاةً . وَأَنَا وَاثِقةٌ أَنَّكُمَا لَنْ تَرَدَداً في إِنْقَادِ حَيَاةِ مَرْأَةٍ وَمَرْأَةٍ أُخْرَى ، مَهْمَا فَعَلَ أَوْ قَالَ ». .

وَقَدْ وَافَقَتْهَا وَرْدَةٌ عَلَى مَا قَالَتْ ، أَمَّا زَهْرَةُ ، فَقَدْ قَطَبْتْ جَيْبِنَهَا فِي ضِيقٍ !

* * *

فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، أَرْسَلَتِ الْأُمُّ ابْنَتَهَا إِلَى الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِشَرَاءِ إِبْرِ وَخَيْطٍ ، وَخِلَالَ الطَّرِيقِ ، لَا حَظِتِ الْأَخْتَانِ أَنْ هُنَاكَ نَسْرًا كَبِيرًا يُحَلِّقُ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَدُورُ بِطْءًِ فَوْقَهُمَا . كَانَ الطَّائِرُ الْهَائِلُ يَهْبِطُ إِلَى أَسْفَلَ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْأَرْتِفَاعِ . وَتَأْمَلَتْ وَرْدَةُ الطَّائِرِ فِي دَهْشَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : «إِنِّي أَعْجَبُ . لِمَاذَا يَطِيرُ هَذَا النَّسْرُ الضَّخْمُ ، بِهَذَا الشَّكْلِ الدَّائِرِيِّ ؟ » أَجَابَتْ زَهْرَةُ وَهِيَ تَنْتَلِلُ إِلَى حَرَكَاتِ الطَّائِرِ : «لَا بُدَّ أَنَّهُ يُطَارِدُ شَيْئًا مَا » وَفَجَأَةً انْقَضَ النَّسْرُ عَلَى مَكَانٍ بِجُوارِ صَخْرَةٍ لَا تَبْعُدُ عَنْهُمَا كَثِيرًا ، وَفِي الْحَالِ سَمِعَتِ الْبِتَانِ صَرْخَةً اسْتِغَاثَةً حَادَةً .

انْدَفَعَتِ الْأَخْتَانِ نَحْوَ مَصْدِرِ الصَّوْتِ ، فَشَاهَدَتَا ، وَهُمَا فِي غَايَةِ الفَزَعِ ، ذَلِكَ الطَّائِرُ الْهَائِلُ ، وَقَدْ انْقَضَ عَلَى الْقَزْمِ نَفْسِهِ . كَانَ الْقَزْمُ يُحَاوِلُ أَنْ يَحْتَمِي بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْجُحْ فِي إِخْفَاءِ لِحْيَتِهِ . وَأَنْشَبَ الطَّائِرُ مَخَالِبَهُ فِي شَعْرِ اللَّحْيَةِ ، وَأَنْهَذَ يَجْذِبُ الْقَزْمَ مِنْهَا ، لِيُخْرِجَهُ مِنْ تَحْتِ الصَّخْرَةِ الَّتِي احْتَمَى بِهَا ، وَالْقَزْمُ يَصْرُخُ وَيَسْتَغِيثُ .

وَأَخِيرًا نَجَحَ الطَّائِرُ فِي جَذْبِ الرَّجُلِ بَعِيدًا عَنِ الصَّخْرَةِ ، وَكَادَ يُوشِكُ أَنْ يَحْمِلَهُ وَيَطِيرَ بِهِ عَالِيًّا ، إِلَّا أَنَّ الْأَخْتَانِ رَقِيقَتِيَ القَلْبُ أَسْرَعَتَا ، وَتَعَلَّقَتَا بِالرَّجُلِ الْقَصِيرِ ، وَأَنْهَذَتَا تَجْذِبَاهُ إِلَى الْأَرْضِ وَالْطَّائِرُ يُحَاوِلُ الْأَرْتِفَاعَ

بالقَزْمِ ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُقلُ الْبَيْتَيْنِ .

وَفَجَاهَةً تَذَكَّرَتْ زَهْرَةُ الْمِقْصَرِ ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ جَيْبِهَا ، وَقَصَّتْ بِهِ جُزْءَ الْلِحَيَةِ الَّذِي تَشَبَّثَتْ بِهِ مَحَالِبُ النَّسْرِ ، فَسَقَطَ القَزْمُ مَعَ الْبَيْتَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَطَارَ النَّسْرُ مُبْتَعِدًا ، لَكِنَّ لِحَيَةَ القَزْمِ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَبَقَّى مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ رُبْعِ طُولِهَا ، وَأَصْبَحَ طُولُهَا لَا يَكُادُ يَصِلُ إِلَى مُنْتَصَفِ صَدْرِهِ .

وَمَا إِنْ أَفَاقَ القَزْمُ مِنَ الرُّغْبِ الَّذِي كَانَ قَدْ تَمَلَّكَهُ ، حَتَّى وَقَفَ ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ مَا يَقْرَى مِنْ لِحَيَتِهِ ، غَيْرَ مُهْتَمٍ بِمَلَابِسِهِ الْمُمَرَّقَةِ الَّتِي فَقَدَتْ كُلَّ نِظَامِهَا ، وَأَمْتَلَأَ غَضَبًا ، وَصَاحَ فِي الْأَخْتَيْنِ : «لَقَدْ قَصَضْتُمَا لِحَيَتِي لِلْمَرَّةِ الْثَالِثَةِ .. أَنْتُمَا تَقْصِدَانِ قَصْ كُلَّ لِحَيَتِي ! كَانَ طُولُهَا مِثْلُ طُولِي وَلَمْ يَبْقِ مِنْهَا إِلَّا رُبْعُهَا . أَنْتُمَا مُؤْذِيَتَانِ شَرِيرَتَانِ » .

قَالَتْ زَهْرَةُ لَوْرَدَةَ : «كُنْتُ أَظْنَهُ سَيَغْضَبُ هَذِهِ الْمَرَّةِ لِأَجْلِ مَلَابِسِهِ ، الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى خَرَقِ بَالِيَّةِ لَا نَفْعَ فِيهَا ، لَكِنَّهُ لَا يَغْضَبُ إِلَّا بِسَبِيلِ لِحَيَتِهِ ! » . قَالَتْ وَرَدَةُ : «لَا بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ سِرَا لَا نَعْرِفُهُ ، يَتَعَلَّقُ بِلِحَيَتِهِ هَذِهِ ! » .

وَتَرَكَ القَزْمُ الْفَتَاتَيْنِ ، وَجَرَى نَاحِيَةُ حَقِيقَيَّةِ مَفْتُوحَةٍ ، كَانَ يُخْرِجُ مَا بِهَا مِنْ مَاسٍ وَأَحْجَارٍ ثَمِينَةٍ ، عِنْدَمَا فَاجَاهَ النَّسْرُ .

كَانَتْ أَشْعَةُ شَمْسِ الْغُرُوبِ الْذَهَبِيَّةِ تَسْقُطُ عَلَى قِطْعَ الْمَاسِ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ ، فَتَتَلَالُ وَتَلْمَعُ بِأَصْوَاءِ باهِرَةٍ ، كَانَهَا مِئَاتُ النَّجُومِ السَّاطِعَةِ . وَوَقَفَتِ الْفَتَاتَانِ بِغَيْرِ حَرَكَةٍ تُحَمِّلُقَانِ فِيهَا ، فَلَمْ يَسْبِقْ لَهُمَا رُؤْيَةُ جَوَاهِرَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْجَمَالِ .

وعندما وجد القزم الآخرين تأملاً لالأحجار الشمية في إعجاب ودهشة، اندفع بسرعة يجمع كنزه، ويضعه داخل حقيبته لكنه عندما حاول حمل الحقيقة، أو حتى جذبها خلفه، تذر عليه ذلك، كانوا فقد معظم قوته، فاكتفى بأن جلس فوقها، وأدار ظهره للأختين.

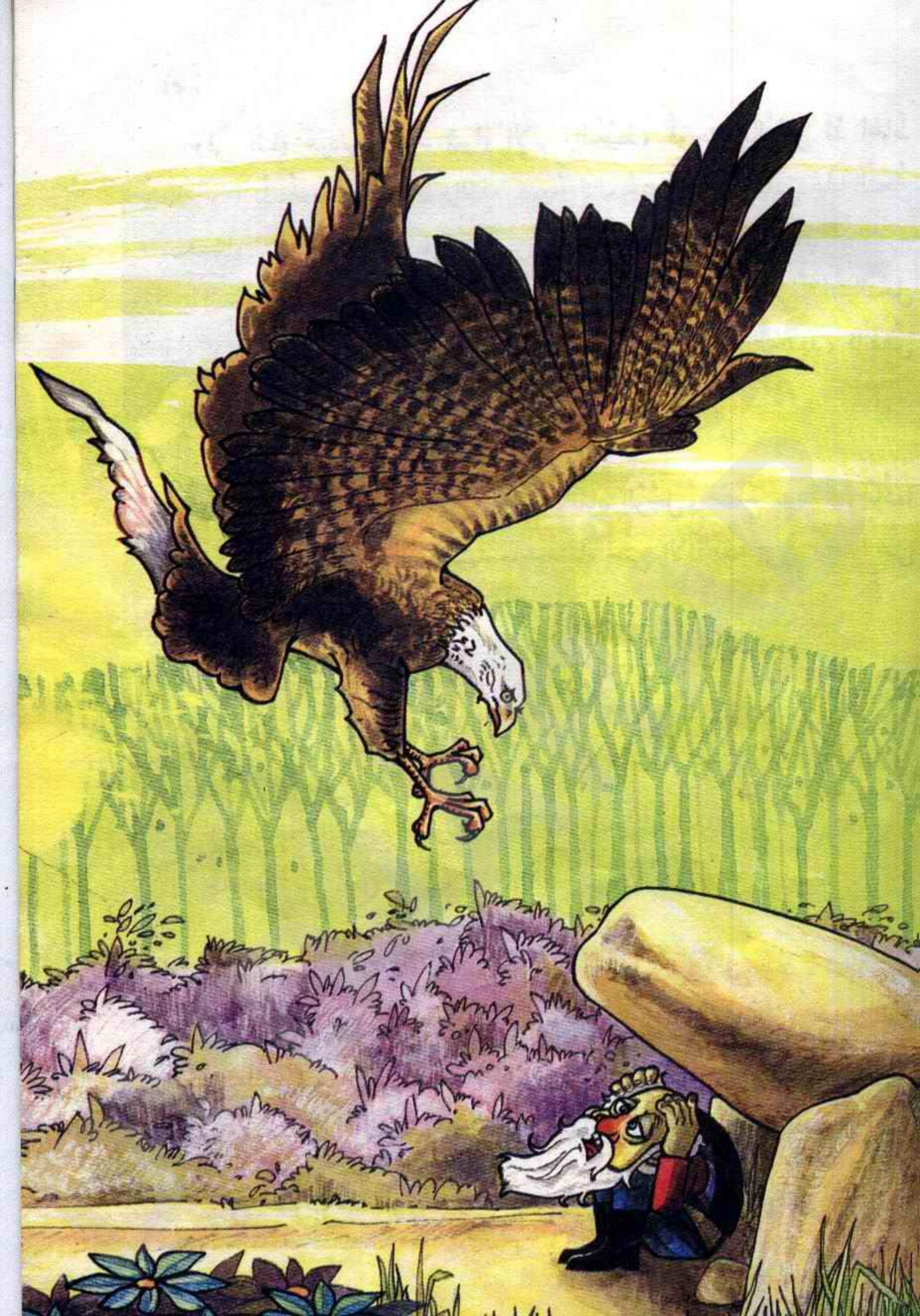
كانت زهرة ووردة قد اعتادتا منه إلا يشكراًهما على معروف تقدماته إليه، فلم تتوقعا أيةهما أن تسمع منه كلمة طيبة، لكن وردة همست لأنتها: «كلما قابلنا هذا الرجل، أحده قوته تضعف في كل مرة عن سابقتها».

وب الرغم صوتها الخافت، فقد سمعها القزم، فالتفت إليهما، وقد تحول لون وجهه إلى الأحمر القرمزى بسبب شدة الغضب. وأخذت الكلمات غير اللائقة تتناثر من فمه، متهمًا الفتاتين بكل سوء.

* * *

وسارعت الأخنان في طريقهما إلى القرية، وقد شغلاهما هذا التغيير الذي لاحظته على قوة الرجل ضئيل الحجم، حتى إنه اضطر إلى الاكتفاء بالجلوس غير قادر على تحريك حقيقة مجوهراته من مكانها:

كما أثار انتباهمَا، كثرة حشرات النحل التي كانت تروح وتتجيء في طريقهما، فقالت وردة: «لا شك أن زهور شجرة فاكهة قد تفتحت بالقرب من هنا» عندئذ أشارت زهرة إلى مثبت من النحل قد تكدس بعضه فوق بعض، معلقا في فرع شجرة، وقالت: «بل هي خلية نحل جديدة، ستبدأ حياتها من هنا».



وفي أثناء عودتهما بعد شراء الإبر والخيط، فوجئتا بالنحل قد أحاط بالقزم، يلدغه هنا وهناك، والقزم يصبح كالمحجون: «سيقتلنى هذا النحل الكسول، نحل لا عسل عنده، ويريد قتلى !!» وفهمت الاختان أن القزم حاول أخذ بعض العسل من خلية النحل الجديدة، وهو لا يعرف أن النحل لم يبدأ من بعد فى صنع أقراص الشمع الخاصة بمسكبه الجديد، فانقض عليه النحل يلدغه، مدافعاً عن نفسه.

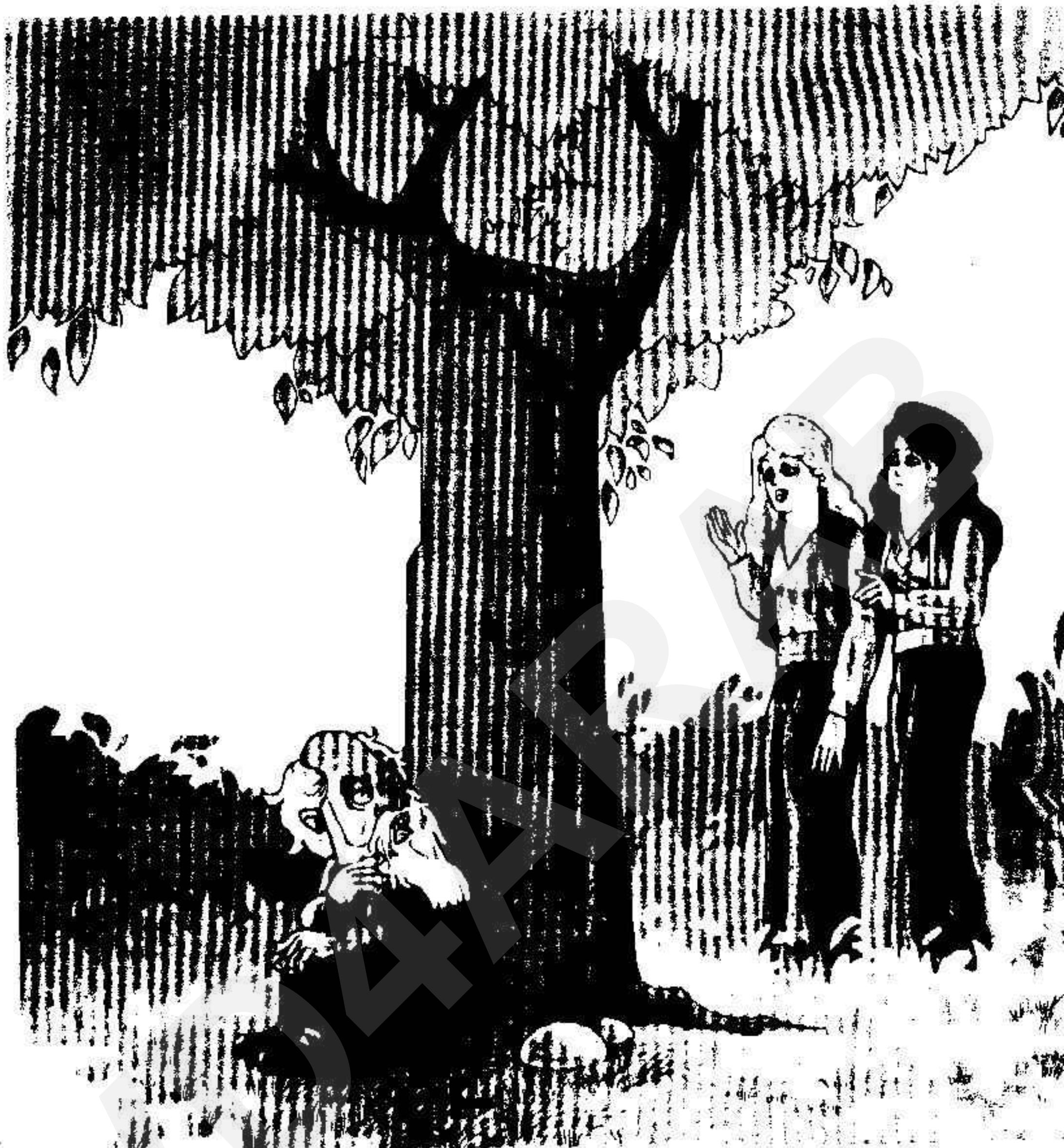
و قبل أن تفكر الاختان في وسيلة الإنقاذ الرجل، صاح بهما: «إياكم والتفكير في مساعدتى، يكفينى ما فعلتماه حتى الآن بليختى، ابتعدا عنها أيتها الشريرتان !»

فى تلك اللحظة، حدث شيء مفاجئ، جعل الكلمات تتجمد على شفتي القزم، والفرع يطأ من عينيه.

لقد سمع الجميع صوت زئير مخيف، ثم خرج من بين الأشجار المجاورة دب أسود كبير، تقدم نحوهم بسرعة.

ترك القزم حقيقة مجواهاته وما ساته، وقفز صارحاً في رعب شديد وقد تغير لون وجهه الذي كان أحمر من الغضب إلى اللون الأبيض الشاحب بسبب الخوف. قبل أن يجد القزم وقتاً للهروب، كان الدب قد وصل إليه، ورفع كفه الضخم، ذا المخالف القاتلة، فوق رأسه.

وفي صوت مضطرب، ركع القزم أمام الدب، وأنحدر يتوكلاً:



«أيها السيد الدب، أصفع عنِّي. سأعيده إليك كُلَّ أموالك، وأمنحك أيضًا كُلَّ كُنوزي، أنظر إلى هذه الحقيقة، إنَّها مملوَّةٌ بالماسات والأحجار

الكريمة، ستكون كلها لك إذا أبقيت على حياتي، لن تشبع بالاتهام شخص هزيل مثلـي! اتركـني وخذ هاتين البنـتين، فـتـمـتـع بـوجـبة شـهـيـة، وـتـخـلـصـ العـالـمـ منـ سـوءـ أـدـبـهـماـ».

لكن الدب لم يلق بالـأـلـىـ كـلـمـاتـ القـزـمـ، وـهـوـيـ بـكـفـهـ الـهـائـلـةـ عـلـىـ المـخـلـوقـ الشـرـيرـ، ولـطـمـهـ لـطـمـةـ وـاحـدـةـ قـوـيـةـ، جـعـلـتـهـ يـطـيرـ فـيـ الـهـوـاءـ عـلـىـ شـكـلـ قـوـسـ كـيـرـةـ، وـيـخـتـفـيـ عـنـ الـأـنـظـارـ تـمـاماـ، ولـمـ يـرـهـ أـحـدـ بـعـدـ ذـلـكـ آبـداـ.

لـمـ تـفـهـمـ وـرـدـةـ وـزـهـرـةـ ماـ سـمـعـتـاـ، وـمـلـأـهـمـاـ الـخـوـفـ، فـأـمـسـكـتـ كـلـ مـنـهـمـاـ بـالـأـخـرـىـ، وـقـدـ أـغـلـقـتـاـ عـيـونـهـمـاـ، وـكـانـتـاـ عـلـىـ وـشـكـ العـودـةـ إـلـىـ الـبـيـتـ جـرـيـاـ، لـكـنـهـمـاـ سـمـعـتـاـ صـوتـاـ مـالـوـفـاـ يـقـولـ لـهـمـاـ فـيـ رـقـةـ: «يـاـ وـرـدـةـ.. يـاـ زـهـرـةـ.. أـنـتـمـ فـيـ أـمـانـ.. اـفـتـحـاـ عـيـونـكـمـاـ، هـلـ نـسـيـتـمـاـ صـدـيقـكـمـاـ الـذـىـ لـازـمـكـمـاـ خـلـالـ لـيـالـىـ الشـتـاءـ الطـوـيـلـةـ؟ـ».

وعـنـدـمـاـ فـتـحـتـ وـرـدـةـ وـزـهـرـةـ عـيـونـهـمـاـ، لـمـ يـشـاهـدـاـ دـبـاـ، بلـ فـتـىـ رـشـيقـاـ وـسـيـمـاـ، يـرـتـدـىـ مـلـابـسـ مـطـرـزـةـ بـخـيـوطـ الـذـهـبـ، وـجـلـدـ الدـبـ مـلـقـىـ عـلـىـ الـأـرـضـ تـحـتـ قـدـمـيـهـ.

قال الفتى الوسيم للبنـتينـ، وقد انتابـهـمـا دـهـشـةـ شـدـيـدةـ: «أـنـتـمـاـ تـعـرـفـانـيـ فـيـ شـكـلـ الدـبـ الـأـسـوـدـ، الـذـىـ صـادـقـتـمـاـ طـوـالـ أـيـامـ الشـتـاءـ، أـنـاـ أـمـيـرـ هـذـهـ الـبـلـادـ، وـهـذـاـ القـزـمـ سـاحـرـ شـرـيرـ، كـانـتـ قـوـاهـ السـحـرـيـةـ تـكـمـنـ فـيـ لـحـيـتـهـ الـطـوـيـلـةـ، لـقـدـ اـسـتـولـىـ عـلـىـ مـعـظـمـ أـمـوالـيـ وـكـنـوزـيـ، وـعـنـدـمـاـ أـخـذـتـ فـيـ



مُطاردَتِه دَاخِلَ الغَابَةِ لِأَسْتَرِدَ ثَرَوْتِي، حَوْلَنِي إِلَى دُبٌ مُّتَوَحِّشٍ، لِكِنْ قُوَّتِه
كَانَتْ تَضَعُفُ كُلَّمَا صَارَتْ لِحَيَّتِه أَقْصَرَ، وَالْفَضْلُ لَكُمَا فِي هَذَا، فَقَدْ
قَصَصْتُمَا لِحَيَّتِه ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِدَافِعٍ مِنْ نُبْلِ أَخْلَاقِكُمَا، وَجُبِّكُمَا لِمَسَاعِدِ
الآخَرِينَ. وَبِهَذَا اسْتَطَعْتُمَا تَحرِيرِي مِنْ قُوَّتِه الشُّرِّيرَةِ، وَعِنْدَمَا تَغْلَبَتْ عَلَيْهِ
الآنَ، زَالَ عَنِّي كُلُّ أَثْرٍ لِقُوَّتِه وَسِحْرِه، وَعُدْتُ كَمَا كُنْتُ، لَقَدْ نَالَ عِقَابَهُ
الَّذِي يَسْتَحِقُهُ».

* * *

وَعَادَ الْثَلَاثَةُ مَسْرُورِينِ إِلَى بَيْتِ زَهْرَةَ وَوَرْدَةَ، وَأَخْبَرَ الشَّابَ أُمَّهُمَا بِأَنَّهُ
الْأَمِيرُ الَّذِي اخْتَفَى مُنْذُ عِدَّةِ أَشْهُرٍ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: «لَنْ أَعُودَ بَعْدَ الْيَوْمِ ضَيْفًا
عَلَيْكُنْ، بَلْ سَأَصْبِحُ مِنَ الْآنِ ابْنَاهُ لَكِ، لَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ وَرْدَةً زَوْجَتِي». ثُمَّ
الْتَفَتَ إِلَى زَهْرَةَ وَقَالَ: «وَأَخِي يَبْحَثُ عَنْ زَوْجَةٍ مُّخْلَصَةٍ مِثْلِكِ
يَا زَهْرَةُ، وَسَنَذْهَبُ لِنَعِيشَ جَمِيعًا فِي قَصْرِنَا الْكَبِيرِ».

وَعَادَ الْأَمِيرُ إِلَى قَصْرِهِ. وَاسْتَرَدَ كِنْزَهُ الْعَظِيمَ بَعْدَ اخْتِفَاءِ الْقَزْمِ، وَأَقَامَتْ
جَمَاهِيرُ الشَّعْبِ احْتِفالَاتٍ رَائِعَةً فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ، ابْتِهاجًا بِعُودَةِ أَمِيرِهِم
الْمَحْبُوبِ، وَزَوْاجِهِ مِنْ وَرْدَةَ، وَزَوْاجِ أَخِيهِ مِنْ زَهْرَةَ.

وَعَاشَ الْجَمِيعُ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ، يُظَلِّلُهُمُ الْحُبُّ، وَالرَّغْبَةُ فِي إِسْعَادِ كُلِّ
الْنَّاسِ.

أسئلة في القصيدة

- ١ - لماذا أثار حديث «زهرة» حول القزم قلق أمها وأختها «وردة»؟
- ٢ - ما الفرق بين «زهرة» و«وردة» في مدى ثقتها بالآخرين؟
- ٣ - كيف اكتسب الدب ثقة الأخرين؟
- ٤ - لماذا انقلبت سعادة الفتاتين بإنقاذ القزم من جذع الشجرة إلى شعور بالأسف؟
- ٥ - «أشكر الله أن أعطاني بنتين لا ترددان في صنع الخير ومساعدة الآخرين».
من قالت هذه العبارة؟ ولمن قالتها؟ وما المناسبة التي قيلت فيها؟
- ٦ - كيف كانت السمكة سبب في غرق القزم؟
- ٧ - كيف أنقذت «زهرة» القزم من الغرق؟
- ٨ - لماذا غضب القزم من «زهرة»، بعد أن أنقذته من الغرق؟
- ٩ - كيف استطاع النسر الإمساك بالقزم؟
- ١٠ - ماذا فعلت البستان لإنقاذ القزم من النسر؟
- ١١ - كم مرة قصت «زهرة» لحية القزم؟ ولماذا قامت بقصها في كل مرة؟
- ١٢ - ماذا لاحظت زهرة على قوة القزم بعد إنقاذه من النسر؟
- ١٣ - كيف تغلب الدب على القزم الشرير؟
- ١٤ - من هو الدب في الحقيقة؟
- ١٥ - ما سر قوة القزم؟
- ١٦ - كيف كان نبل أخلاق البتتين، سبباً في تحرير الأمير من قوة الشريرة؟



١٩٩٩/٧٩١٥

رقم الإيداع

ISBN

977-02-5843-1

التقييم الدولي

٧/٩٩/٣٩ طبع بطباعة دار المعارف (ج . م . ع)